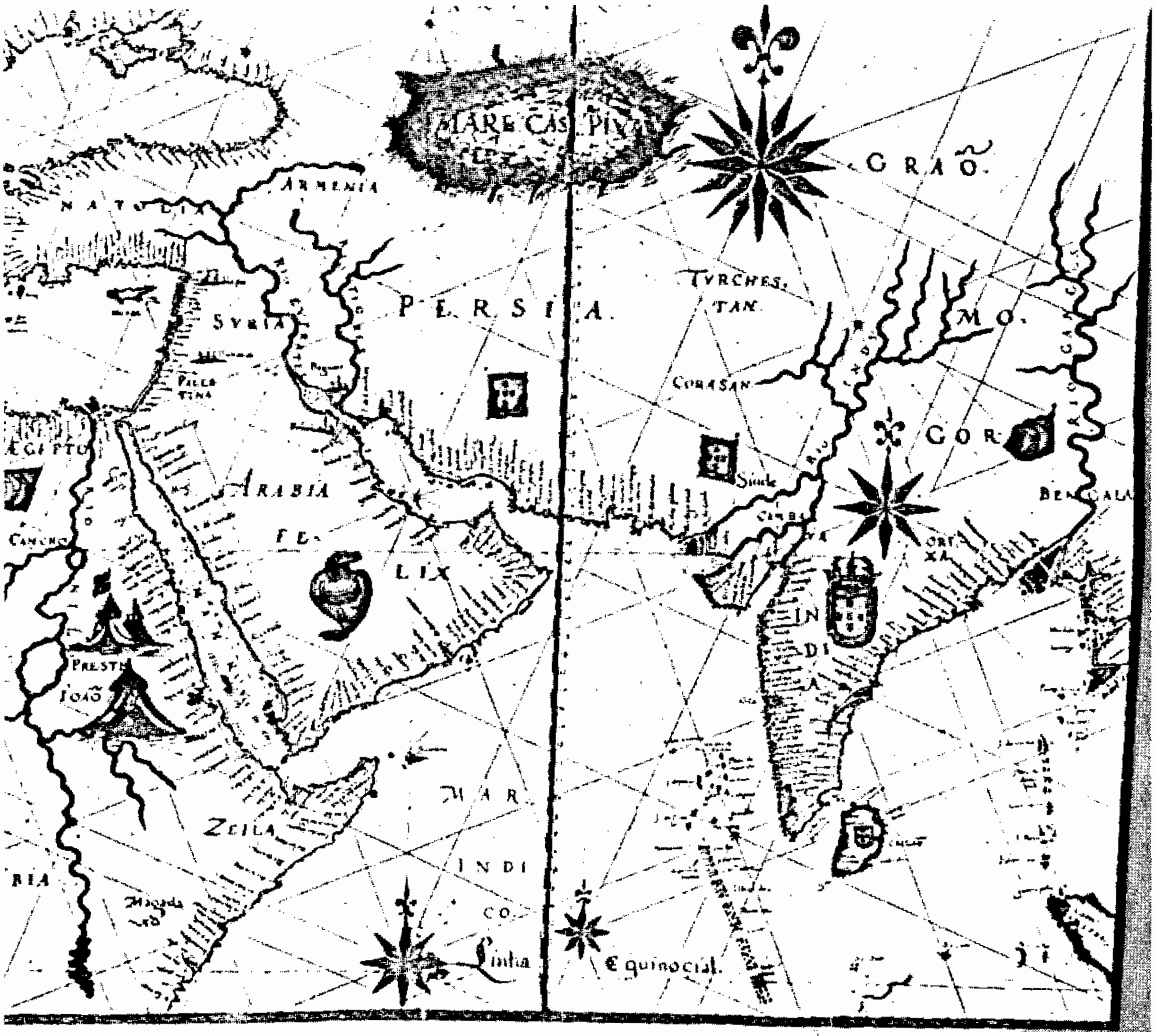


تجّار كجرات والتجّ

بَعض الملاحظات المبنيّة على المصـ

الدكتور ماكراند مهتا والدكتورة شيرين مهتا



لا يسع أى مؤرخ ان يجهل كجرات وهو يناقش موضوع العلاقات التاريخية بين الخليج العربى والقارة الهندية ويرجع السبب في ذلك للعلاقات الثقافية والتجارية المتينة التى كانت تربط الهند بالدول العربية قبل ان يدمر البرتغاليون النظام التجارى الناجح النافع الذى كان قائماً في كل من آسيا وأفريقيا في القرن السادس عشر وقد احتلت كجرات مكاناً حيوياً بسبب كثرة موانيها مما سهل هذه الاتصالات منذ القدم . وقد تلقت مزيداً من الدعم في الفترة التى يتناولها هذا البحث فقد شهدت هذه الفترة حركة التمدن السريع في كل من الجزيرة العربية وكجرات لاسباب مختلفة . ففيما يتعلق بكجرات قد انشأت سلالة «سولانكى» (٩٤٢ - ١٣٠٠م) والحكام المسلمون المستقلون فيها خاصة سلاطين كجرات (١٤١١ - ١٥٧٣م) شبكة بيروقراطية واسعة أدت الى استقرار سياسى وتشجيع للحركة التجارية[1] ومن جهة ثانية فقبل مجىء الاسلام وانتشاره في حوالى منتصف القرن الثامن شهدت البلدان العربية تقدما سريعا في التحول الى التمدن والتجارة . وفي هذه الفترة برز في الأفق عدد كبير من الموانىء المزدهرة كعدن وجده وهرمز التى كانت مواقعها على منافذ الطرق البرية التى عبرتها القوافل حاملة منتجات كل من الهند وغرب آسيا وأفريقيا والبحر المتوسط والهدف من هذا البحث هو دراسة العلاقات التجارية بين كجرات والتجار العرب .



كان في كجرات مدن موانىء عديدة مزدهرة كـ «بروش» و«كامبى» و«سومنات» و«مانداوى» و«بادريشوار» و«ديو» وغوغا» وبوربندر» ويقول عالم برهمى يسمى «سوميشوار» كان يعيش تحت رعاية حكام «سولانكى» «بيم ديو الثانى» (١١٧٨م ـ ١٢١٢م) و«فيسال ديو» (١٢٤٤م ـ ١٢٥٣) ، في كتابه المسمى «كيرتى كومدى «ان كلا من «فاستوبال» و«تيج بال» كانا من التجار الكبار من طائفة «جين» ومن أصدقائهما الخاصين وكان «فاستوبال» يشغل منصب الوزير أيضا وقد قام بتطوير ميناء «كامبي» ويضيف ان «فاستوبال» أدخل بعض الاصلاحات في دائرة الموانىء (المسماة «فيلاكول كارن») وشجع الملاحين الهنود («نوفيتيك» و«ساينتريك») على ممارسة مهنتهم وكذلك شجع المسلمين (مليخا او يافانا) في الخارج على «الإستيطان» في كل من «كامبي» و«انهل واد باتان» واماكن تجارية اخرى[٢] .

ورغم وجود موانىء كثيرة في كجرات الا ان ميناء «كامبى» كان يتمتع بشهره كبيرة وفي الفترة التى تناولها هذا البحث كان يمثل الباب الهندى الى مكة المكرمة وبلغت سمعتها درجة اطلق معها هذا الاسم على ولاية كجرات كلها قبل القرن السادس عشر وكانت شهرة الكجراتيين كبيرة في عالم التجارة

ويدل على ذلك ما ورد في ملاحظات السائح الفرنسى «فرانسوا بيرارد» (١٥٨٠م ـ ١٦١٢م) الذى زار كجرات في عام ١٦٠٨م إذ قال :

«ان اللغة الرائجة في تلك الأقاليم بما فيها «جراند موغور» و«بنغال» والمناطق المجاورة هي اللغة الكجراتية وهى منتشرة ومفهومة أكثر من اية لغة هندية أخرى»[٣] .

ومن ميزات النظام الإقتصادى لكجرات ان المنطقة كانت خصبة زراعيا ومتطورة ومتمدنه لدرجة كبيرة وقامت المراكز المدنية بتصنيع سلع كالنيلة والسكر وملح البارود والعقاقير والعقيق والورق لكن صناعتها القديمة الأساسية كانت عبارة عن صناعة المنسوجات التى كانت من المقومات الأساسية لتجارتها الداخلية والخارجية .

ومن جهة أخرى يجدر التأكيد على انه بعد وفاة الرسول «ﷺ» في عام ٦٣٢م بدأ إنتشار الإسلام والمدنية في البلدان العربية بسرعة فائقة . وكان ظهور الاسلام عنصراً حيوياً في تصاهر وتلاحم القبائل العربية التى اقامت امبراطورية قوية تم تأسيسها على ايدى الخلفاء وشملت كلا من الجزيرة العربية وسوريا والعراق وايران ومصر وشمال افريقيا واسبانيا وتولى العباسيون السلطة كخلفاء في بغداد اواسط القرن الثامن وظلت الدولة العباسية من أقوى وأغنى الإمبراطوريات في العالم وفي ذروة

مجدها ضمت كافة المراكز الحضارية في المناطق المذكورة وحتى في الفترة اللاحقة سيطر العرب على المراكز الإنتاجية في كل من غرب آسيا وشمال أفريقيا وكان لهم السيطرة على الطرق التجارية الهامة التى كانت تربط بين البحر المتوسط والهند والصين وقد ادى انتشار الامن والسلامة اللذين وفرهما التجار والملاحون العرب لهذه الطرق التجارية الى رخاء وإزدهار تلك المناطق وكان المحيط الهندى همزة الوصل بين كجرات والموانىء الخليجية كجمبرون وهرمز وجسك والبصرة وجدة وعدن ومخا .

ان هجرة العرب المبكرة الى شرق افريقيا والسند وكجرات رفعت مكانة اللغة العربية في المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية كلغة متداولة على نطاق واسع(٤) وفي الحقيقة فقد أثر العرب على اللغة الكجراتية نفسها تأثيراً عميقاً .

ومن الصعب ان نحدد بالضبط متى وكيف تأثرت اللغة الكجراتية باللغة العربية لكن المؤكد انه نتج عن التعامل الطويل خلال وقت ليس بالقصير وقد تدوولت بعض الكلمات العربية لدرجة انها تستخدم حتى اليوم في كجرات بمنتهى الطلاقة ودون أدنى عناء ولا يشعر الكجراتيون بخلفية التعامل المستمر مع العرب الذى يكمن وراء تخصيب اللغة الكجراتية واذكر على سبيل المثال الكلمات الاتية :

برف (ثلج) وبندوق (بندقية) وخاص بازار (السوق الرئيسى) ومشعل وحوض ومعرفة (بمعنى الوساطة) وصراف وقاصد (بمعنى الرسول) وخبر ودكان ونقد وضامن (بمعنى الكفيل) ورقم (بمعنى المبلغ) وجهاز (بمعنى السفينة) وفراجه (بمعنى الجمرك) وعقيق ودلال (بمعنى السمسار) وزكواة (بمعنى الرسوم الجمركية) ومسافر ومحصول وكاغذ (بمعنى الورق)(٥) وقد ذكرت هذه الكلمات كأمثلة للتسلل اللغوي الذي تطور عبر بضعة قرون وهذا موضوع هام ويعطي مجالا واسعا للبحث. ويقول الاستاذ شمسي:

«ان دراسة اللغة العربية في الهند قد تزداد في الحال وعلاقاتنا مع الشرق الأوسط تعود الى حوالى الفى سنة وإضافة الى العلاقات التاريخية ودعوة الدين الإسلامى توجد ثلاث مقتضيات ملحة في المجالات السياسية والثقافية والتجارية للتعامل مع العرب لإن العرب اصدقاؤنا في المجال السياسى واللغة العربية اكثر أهمية لنا ثقافياً بعد اللغة الإنجليزية»(٦) .

وكان من بين التجار والجغرافيين والسياح العرب والعجم الذين زاروا كجرات كل من سليمان السيرافى (٨٥١م) وبزرك بن شهريار (٩١٢م) وابوالحسن المسعودى (٩١٥م) وابواسحق ابراهيم الاصطخرى (٩٥١م) وابن حوقل البغدادى (٩٧٦م) والبيرونى (١٠٣٠م)

والادريسى (١١٠٠م) ومحمد عوف (١٢١١م)[٧] .

وتفيد كتاباتهم أن العرب كانوا مستقرين بأحسن وجه في «أنهل وادباتان» عاصمة حكام سولانكى في الفترة بين ٩٤٢م و١٣٠٠م . وكانت لهم مستوطنة واسعة وفيها مسجد جميل ومستوطنتان مماثلتان في كل من «بروش» وكامبى» ومن القرن العاشر الى القرن الخامس عشر كانت كامبى» ميناء رئيسيا وكان من منتجاتها المانجو وجوز الهند والليمون والارز والعسل كما كان من صناعاتها الصناعات الجلدية وقامت كامبى بتصدير الأحذية والمصنوعات الجلدية الاخرى الى كل من مخا وعدن وجده . وكان من بين صادراتها الأخرى النيلة والشمع الأحمر والشعير الهندى واساور العاج والقمح والارز والعقيق والسكر . وكان من بين وارداتها من الموانىء الخليجية الخيول والنحاس والزئبق والزعفران وماء الورد والحرير والتمور والمرجان واللؤلؤ والمخمل [٨] .

وكانت قوة كجرات تكمن في منتجاتها الزراعية كالمنسوجات القطنية والنيلة والسكر . ويقول عبدالله وصاف (١٢٣٨م) «ان الأرض في كجرات قوية لدرجة ان شجيرة القطن تنتشر اغصانها مثل الصفصاف او البلانيرة المائية وتؤتى ثمارها لسنوات عديدة»[٩] .

وحسب أقوال الجغرافي المصرى ابوالعباس النويرى (ت ١٣٣٢م) كانت المنسوجات البروشية مشهورة باسم «بروج» او«بروجى» والمنسوجات من صناعة كامبى اشتهرت باسم «كامبايانى» وكان هذان الصنفان يدعيان «باروج» و«كامبايانى» على أساس انهما صنعا في هاتين المدينتين [١٠] .

ولقيت هذه الملاحظات مزيداً من التأكد بما ورد في مخطوطات منقوشة على أوراق النخل (مكتوبة باللغة البراكريتية) التى اكتشفت اخيرا في الارشيفات الجينية في كامبى . واسم المخطوطة هو «سود انشاناشاريام» وتحمل التاريخ السموت «نظام هندى» ١٢٤٤ المطابق ١١٨٨م واسم الكاتب مجهول لكن المخطوطة تقول ان كجرات قامت بتصدير المنسوجات القطنية والحريرية وجوز التانبول وجوز الهند وصناعات العاج والعود الى البلدان الإسلامية وتشير المخطوطة الى المسلمين باسم «مليشا» ونظراً لانه تم العثور على المخطوطة حديثا فإنها لا تزال تحت الدراسة[١١] ويقول المؤلف «هيماشاندراشاريا» (١٠٨٩ ـ ١١٧٣م) وهو عالم ونحوى بارز من طائفة «الجين» في كتابة «داواشرايا مهاكافيا» ان كلا من «سدراج جاياسنها» (١٠٩٤ ـ ١١٤٣م) و«كوماربال» ((١١٤٤ ـ ١١٧٣)م من الحكام السولانكى قد شجعا النساجين من

«باتولا» في راجستان على الهجرة الى كجرات[١٢] ويشير الكتاب «فارناك سموشايا» الى الصناع المهرة كالنساجين والصباغين والطباعين مما يؤكد تطور صناعة المنسوجات في كجرات ووصولها الى مستوى عال جداً ويشير نفس المصدر الى التنوع في انتاج المنسوجات[١٣] وكانت رقتها موضع تقدير لدى سليمان السيرافي الذى يقول بان هذه الانواع كانت مقبولة عند الجماهير في البلدان العربية[١٤] .

ومن المحتمل انه يشير الى صنف «الباتولا» من القماش الذى كان انتاجه يتطلب مهارة فائقة ويقول الكاتب «فارتيما» (١٥٠٣م ـ ١٥٠٨م) ان ولاية كجرات قامت بتصدير أنواع مختلفة من القماش الى البلدان العربية[١٥] وقد أورد الراهب الجيني الشهير «لافانياساميايا» الذى الف كتاب «فيمال براباندا» في أواخر القرن السادس عشر ان الأسواق في مدينة «انهل وادباتان» كانت مليئة بالمصنوعات القطنية والمنسوجات في القرنين الحادى عشر والثانى عشر . ويضيف الكاتب قائلاً بان المدينة كان فيها عدد كبير من الصرافين والسماسرة وكان «فيمال» تاجراً كبيراً وكان على علاقة ودية مع حاكم السولانكى «بيم ديو الأول» (١٠٢٢ ـ ١٠٧٢م) وكان يوجه دعوات ليس للتجار الهنود من ولايات أخرى فحسب بل للتجار من بلدان خارجية أيضاً من اجل تطوير كجرات ومدينة باتان تجاريا وإقتصاديا ولا يستخدم «لافانياساميايا» كلمة «العرب» بالذات وانما يستخدم كلمة عامة هى «يافانا» والمراد من كلمة «يافانا» كل من كان يعتنق الإسلام وعلى كل حال فإن حكام «السولانكى» كانوا حريصين على ان يستوطن المسلمون من الخارج موانىء كجرات[١٦] وعلى الرغم من ان المصدر الكجراتى المذكور آنفا يستخدم مصطلحات عامة للإشارة الى المسلمين فان باربوسا الذى زار كجرات والهند بين ١٥٠٠م و١٥١٧م وضع نقاطاً على الحروف وأشار الى المسلمين من مملكة «كامبايا» باسم الاتراك والمماليك والعرب والفرس وكانوا ينطقون بلغات شتى بما فيها اللغات العربية والكجراتية والتركية . ويشترون التوابل والعقاقير والحرير الخ ويقومون بتصديرها للسويس عن طريق جده ، ميناء مكة وقد نقلت هذه البضائع من جدة بواسطة مراكب صغيرة ومن ثم على ظهور الجمال عبر البر الى القاهرة ومن القاهرة نقلها التجار الآخرون الى الاسكندرية ويستطرد باربوسا» قائلاً تأتى السفن من كافة الموانىء الى ميناء عدن خاصة من ميناء جدة حيث تنقل اليه النحاس والزئبق والقرمز والمرجان والصوف والحرير ويؤخذ العشر على البضائع عند عودتها وتتكون من

التوابل والعقاقير والمنسوجات القطنية والصناعات الأخرى التى تحملها لمملكة «كامبايا»[١٧] .

وانتجت كجرات خام السكر والدبس وقامت بتصديرهما للبلدان العربية . ويذكر الكتاب «فارناك ساموشايا» تسعة أنواع من الدبس و١٤ نوعاً من السكر المصنوع من قصب السكر وكان الجهاز الذى يستخدم لسحق قصب السكر يدعى «كولهو»[١٨] .

وكانت النيلة المنتجة في كجرات مقبولة في البلاد الخارجية وكانت تزرع في كامبي ولاحقا في ساركيج بالقرب من أحمد آباد ويشير «ماركوبولو» (القرن الثالث عشر) الى كثرة النيلة في كجرات وتصديرها الى الموانىء الخليجية[١٩] ويذكر هيم شاندراشاريا (١٠٨٩ - ١١٧٣م) مادة النيلة بصفة خاصة[٢٠] الا ان المصادر الكجراتية لم تورد وصفاً لصناعة النيلة في الفترة التى يغطيها هذا البحث ونظراً لأنه لم يطرأ اى تغيير رئيسى في الأساليب الفنية الإنتاجية بين القرن الثانى عشر والسابع عشر يمكننا من ان نثق بما ورد في كتابات تاجرفرنسى جين بابتستا تافرنيير في منتصف القرن السابع عشر في هذا الموضوع يقول الكاتب في وصفه انتاج هذه المادة في مدينة «ساركيج» الهندية :

تؤخذ النيلة من شجيرة تزرع سنوياً بعد الأمطار وقبل تصنيعها تشبه الكتان الى حد كبير وبعد قطعها يرميها الهنود في أحواض الجير (الكلس) كى تصبح صلبة كأنها كتلة واحدة من المرمر ويبلغ محيط الحوض من ٨٠ الى ١٠٠ قدم وترمى الشجيرات المقطوعة فيه وهو ملىء بالماء الى نصفه او اكثر ثم يخلطها الهنود ويحركونها حتى تصبح الأوراق كالطين ، ويترك الخليط لبضعة أيام حتى ترسب المادة الى الاسفل ويبقى الماء الصافى في الاعلى ، وتفتح ثقوب في الحوض لاخراج الماء وتملأ السلال بعد ذلك بمادة لاصقة وكل صاحب سلة يأخذ العجينة اللاصقة في يده ويجعل منها قطعاً صغيرة في حجم نصف البيضه مسطحة في الاسفل ومدببة في الاعلى . واما بالنسبة للنيلة المصنوعة في أحمد آباد فكانت بشكل كعكة صغيرة ، ويجب ان نلاحظ بصفة خاصة ان التجار كانوا ينقون شحنات النيلة المرسلة من آسيا الى أوروبا من شوائب التراب والغبار لتجنب تسديد الضرائب على أوزان لالزوم لها ثم يبيعون هذا التراب محلياً لإستخدامه في صناعة الصباغة[٢١]

وفضلاً عن المنسوجات القطنية والسكر والنيلة الخ قامت كجرات بتصدير العقيق الى البلدان الخليجية واستوردت منها اللالىء . ويقول كل من «فارتاما» و«باربوسا» (في بداية القرن السادس عشر) إن حجم التجارة بين كامبى ومنطقة الخليج كان بارزا للغاية[٢٢] ووجد عدد كبير من العرب في كامبى . وجاء العرب بالخيول واللآلىء وأخذوا معهم العقيق والاحجار الكريمة الملونة بشكل الأختام ومقابض السيوف والخناجر والأساور الى سواحل البحر الأحمر ومن هناك جاءوا الى أوربا عن

طريق القاهرة والاسكندرية[٢٣] وتجدر الملاحظة ان الإصطلاح الإنجليزى Agate مبنى على الأصل العربى «عقيق» اى (قاع النهر) مما يدل على إنعكاس العلاقات التجارية القديمة على العلاقات اللغوية والثقافية أيضاً . وكان تجار العقيق قد أسسوا في كامبى نقابات خاصة بهم كانت تسمى «جماعات عقيقية» وحتى يومنا هذا يتداول نفس الإصطلاح بين صفوف منتجي ومصدرى الصناعات العقيقية في كامبي الذين يتعاملون مع افريقيا والبلدان الخليجية[٢٤]

وقد تلقت صناعة العقيق في كامبى في العصور الوسطى دعماً ملحوظاً من التجار العرب الذين اشتروا منتجاتها بالجملة وقاموا بتصديرها للأسواق الآسيوية والأفريقية . وفي أواخر القرن الخامس عشر استوطن مغامر تجارى حبشى اسمه «باب غور» كجرات واسس مصنعاً صغيراً في «رتنبور» في ولاية بروش الهندية بمنطقة «راج بيبلا» وهى منطقة معروفة بمناجم العقيق خاصة بالقرب من قرية «نيمودرا» الواقعة على بعد ١٠كم من «رتنبور» وقام «باب غور» بتشغيل المصنع بالتعاون مع إخوته واخته المسماه «ماى مريم» وقد أسست العائلة مصنعاً آخر للإنتاج في كامبى نظراً لملاءمة موقعها الذى يظهر بوضوح في الخريطة كموقع يقع في وسط المراكز الانتاجية ما بين الشرق الأقصى والملايو وجزر التوابل وما وراءها والصين واليابان من جهة والموانىء العربية والفارسية من جهة أخرى فكان من الطبيعى ان يستوطن باب غور ، وعائلته كامبى . وقبل وفاته كان قد وسع نطاق صلاته التجارية ليشمل البلدان الخليجية العربية والفارسية وكان له كبير الأثر في تطوير صناعة وتجارة العقيق حتى سميت مناجم راج بيبلا ، مناجم بابا غور ، وأصبح شخصية أسطورية وقد بنى معبد تكريما له حيث يؤدى منتجو العقيق حتى اليوم الصلاة ومنهم الهندوس وغيرهم . كما يسمى العقيق الأحمر باسمه التجارى «ماى مريم»[٢٥] وكان منتجو كامبى يقدرون بالإضافة الى العقيق من مناجم «بابا غور» الأحجار شبه الكريمة من كل من البصرة وعدن[٢٦]

ان مصدراً تاريخيا آخر في كجرات ذا أهمية يلقى مزيداً من الضوء على العلاقات التجارية التى كانت قائمة بين التجار العرب وتجار كجرات وهو عبارة عن قصيدة بعنوان «جاكدوشارت» باللغة السانسكريتية كتبها عالم جينى في حوالى ١٣١٩م[٢٧] وفيها يسرد الكاتب سيرة تاجر جينى اسمه جاكدو ذاع صيته في القرن الثالث عشر وانقذ كثيراً من الأرواح اثناء المجاعة التى اجتاحت البلاد من ١٢٥٦م الى ١٢٥٨م وعلى الرغم من ان القصيدة لا تخلو عن المبالغات الا انها تخلو من السخافة مثلما ورد لاحقا في كتابات الكتاب الآخرين . ونظراً لأهميتها بالنسبة للموضوع نستعرض بعض نصوصها السانسكريتية .

كان «جاكدو» طبقاً لنص القصيدة من طائفة الجين من «كاشا» وزار عدن وهرمز كثيراً برفقة مساعده «جايانت سينغ» وكانت سفنه تجوب البحار بين

«بادريشوار» الواقعة على بعد حوالى ٦٠كم من ميناء «مانداوى» في «كاتش» وكل من عدن وهرمز وكانت السفن تحمل بضائع متنوعة وذات يوم أرسل جاكدو مساعده «جايانت سينغ» الى الميناء الممتاز «عدن» وعقب وصوله هناك قابل تاجراً تركياً من «كامبى» وشاهد التاجر التركى حجراً ثميناً كبيراً في الميناء ونافس «جايانت سينغ» في شرائه لان ضابط الميناء بدأ المساومة حول سعره . وكان جايانت سينغ ، مستعداً ليدفع ١٠٠٠ دينار لكن التاجر التركى عرض ٢٠٠٠ دينار وفي المزايدة التى تلت اشترى «جايانت سينغ» الحجر مقابل ٣٠٠,٠٠٠ دينار ومرة سافر «جاكدو» الى عدن حيث أسس فيها سوقاً لبيع سلعه وفي هذه الاثناء اتصل به بعض القراصنه الذين كانوا قد نهبوا سفينة محملة بشحنة شمع واقترحوا عليه شراء السفينة فاشتراها «جاكدو» ورجع بها الى «بادريشوار» ولما أذاب الشمع وجده يحتوى على ٥٠٠ طابوقة ذهبية وهكذا ربح أموالاً طائلة من مجرد صفقة واحدة . وتقول القصيدة ان جاكدو ، جمع أرباحاً خيالية من تجارته مع المسلمين في عدن وبنى مسجداً جميلاً في «بادريشوار» باسم «المسجد الخملى»[٢٨]

ان القصيدة المذكورة عن سيرة جاكدو ، تشبه قصة الحوريات وقد يرفضها المؤرخ الحديث بسرعة لكنه يجب علينا ان ندرك بأنه بالمقارنة مع العرب والمسلمين المعاصرين كان الهندوس غير مهتمين بالتاريخ او بكلمات أخرى انهم كانوا مقيدين بالنظم الفردية والأسطورية في تفكيرهم[٢٩] ولم يكن المؤرخ الهندوسى يبالى بما اذا كان ملك من الملوك قد حكم ٣٠ سنة او ٣٠,٠٠٠ سنة او أن تاجرا من التجار اشترى أحجاراً كريمة بسعر ٣٠٠٠ دينار او مليون دينار . لذلك يجب علينا ان نلجأ الى الإستنتاجات من تراثهم الأدبى ان كان متاحاً . ولم يكن جاكدو ، وحيداً في بناء مسجد بل كان «فاستوبال» هو الثانى في القرن الثالث عشر الذى شيد مسجداً حسبما ورد في «البرابانـدا السانسكريتية»

وتقول المصادر المعاصرة ان حكام السولانكى ، كانوا متسامحين نحو الإسلام وشيدت عدة مساجد في المدن كـ «باتان» و«كامبى» و«بروش» وخطب فيها الأئمة غير الهنود والأمر الذى حث «فاستوبال» و«جاكدو» على تشييد المساجد كان روح التسامح التى سادت أنذاك وقد يكون للاعتبارات التجارية دور اكبر وراء هذه الظاهرة . ويقول سوميشوار (القرن الثالث عشر) بان «فاستوبال» كان تاجراً كبيراً وفي نفس الوقت مديراً لميناء كامبى . وانه استورد عدداً كبيراً من الخيول وعلينا الا ننسى ان روح التسامح الدينى التى سادت أنئذ لم تكن تياراً باتجاه واحد فالمصادر الأوروبية للقرن السابع عشر تقول ان الهندوس بنوا معابدهم في كل من هرمز وجمبرون واصفهان وعدن ، وكانت توجد في المدن الموانىء جاليات هندوسية يسميها الاوربيون «جنتوس» و«البانيان» واحتفلت هذه الجاليات بأعيادها مثل «عيد الأنوار» وغيره بحرية تامة[٣٠] والمهم ان المقتضيات لدى التجار والحكام

الذين اهتموا بالتجارة وكان كل من الكجراتيين والعرب حريصين على ان تزدهر موانيهم ومراكزهم التجارية . وقد جاء فيما كتب ماركوبولو في القرن الثالث عشر : ان ملك عدن يملك أموالاً طائلة مكتسبة من نظام الضرائب والرسوم المفروضة على البضائع المستوردة من الهند[٣١]

ان كجرات مدينة للعرب بمعرفتها أساليب صناعة الورق ويفترض على العموم ان كلا من كشمير والبنجاب كانتا من أوائل المناطق التى عرفت المهارات المطلوبة في صناعة الورق من ايران والبلدان المجاورة في القرن السابع عشر ولكن اذا أخذنا بعين الإعتبار العلاقات التجارية والثقافية القائمة بين الكجراتيين والعرب في ضوء الشهادات المتوفرة من المصادر المعاصرة فقد نعيد النظر في صحة هذا الإفتراض. يقول «نيكولاوكونتو» وهو سائح ايطالى زار كجرات في بداية القرن الخامس عشر : «يستخدم سكان كامبى ، فقط الورق ويكتب الهنود الآخرون على أوراق الاشجار ويجعلون منها أوراقاً جميلة»[٣٢]

ولقد لقيت الإتصالات بين العرب وكجرات دعما منذ وسط القرن الثامن عشر لأسباب شرحناها آنفا وتعلم العرب أسلوب صناعة الورق من الصينيين في حوالى عام ٧٥٠م وكان للعرب مستوطنة ليس فقط في كامبى ، بل في «احمد آباد» أيضاً عقب تأسيس تلك المدينة في عام ١٤١١م على يد السلطان احمد شاه . ويوجد حتى الآن حى في مدينة احمد آباد يسمى «كوشاراب» حيث يعيش فيه أخلاف منتجي الورق وكان هذا الحى مركزاً هاماً لانتاج الورق قبل القرن التاسع عشر وتعتقد أسر «كاجدى» في صحة الإفتراض التقليدى القائل ان العرب أسسوا مستوطنه في «كوشاراب» على ضفة نهر سابارلمتي» وليست كلمة «كوشاراب» الاتحريفا لكلمة «كوجه عرب» اى «حارة العرب» وتقودنا هذه الدلائل الى النتيجة بأن كجرات عرفت صناعة الورق بفضل إتصالاتها بالعرب[٣٣] وان هذا الإجتهاد الفنى كان له أثر طيب في القرن السادس عشر عندما حل الورق المصنوع الحديث محل أوراق الأشجار[٣٤]

ونستنتج مما سبق بأن التعامل المتبادل بين التجار العرب والتجار الكجراتيين استمر دون إنقطاع وكانت صلاتهم التجارية قائمة على منتجات بلادهم من ناحية أخرى اتخذت التجارة صيغ التعامل المتعددة الأطراف مما ساعد في التقارب والتكاتف بين التجار العرب والتجار الكجراتيين مؤدياً الى إستفادتهم المشتركة من النظام التجارى العالمى القائم قبل القرن السادس عشر . ولا ندرى مدى تأثير كجرات على ثقافة العرب ولغتهم ومما لا شك فيه ان كجرات إستفادت من إتصالها بالعرب من نواح عديدة وتعلمت صناعة الورق منهم وساعدت هذه الميزة فقط في إحراز تقدم مفاجىء في نظام الاعلام وتحمل اللغة العربية نفس الدرجة من الاهمية في تأثيرها على كجرات بادخال كلمات ومصطلحات جديدة بل وأساليب التعبير نفسها عبر بضعة قرون . وكانت كجرات مستعدة تماماً لإستيعاب تأثيرات عربية سواء في حقل اللغة أو الثقافة .

الهوامش

1. For details see Asoke Kumar Majumdar, Chaulukyas of Gujarat A Survey of History and Culture of Gujarat From the Middle of the Tenth to the End of the Thirteenth Century (Bombay, 1956); S.C. Misra, Rise of Muslim Power in Gujarat (Bombay, 1963); S.C. Misra, Muslim Communities in Gujarat (Baroda, 1963); Ajaz Bano, "Nobility Under the Sultans of Gujarat", Indian History Congress, Proceedings, Kashmir University, Srinagar, 1986, pp. 290-96; Pushpa Prasad, "Feudal Organisation in Pre-Sultanate Gujarat", Indian History Congree, Proceedings, Annamalai University, 1984, pp. 330-35.

2. Vibhuti Bhatt, Someshwarni Krutio: Aitihasik ane Sanskrutic Adhyayan The Works of Someshwar: A Historical and Cultural Study (Ahmedabad, 1989); A.V. Katharate, Kirtikanmud; A Life of Vastupal, Minister of Lavanprasad and Virdhaval Vaghelas (Bombay, 1883).

3. Albert Gray and H.C.P. Ball (eds.), The Voyages of Francois Pyrard of Laval to the East Indies the Maldives the Moluccas and Brazil, 2 vols., 2, pt. 1 (London, 1888), p. 250.

4. For details see K.N. Chaudhuri, Trade and Civilization in the Indian Ocean an Economic History from the Rise of Islam to 1750 (Cambridge, 1985).

5. For details see Chhotubahi Nayak, Gujarati Par Arabi-Farsini Asar Influence of Arabic-Persian languages on the Gujarati Language (Ahmedabad, 1954); Prabhakar Ramachandra Pandit, Apabrashtha Shabdaprakash A Dictionary of Gujarati Language showing how it went on Changing as a Result of the Impact of Sanskrit, Persian, and Arabic Languages (Bomaby, 1880); T.K. Samshi, Arabi-Gujarati Dictionary, 2 vols. (Surat, 1966).

6. Samshi, Ibid., p. 1 (Introduction).

7. For details see Henry Elliot, The History of India as Told by its Own Historians, 8 vols. (London, 1867-77).

8. Mansel Dames (ed.), The Book of Duarte Barbosa, 2 vols., I London, 1918), pp. 47-48

9. Elliot, op. cit., vol. 3, p. 31.

10. Majumdar, op. cit., p. 260.

11. This manuscript is in possession of the L.D. Institute of Indology, Ahmedabad. Our source of information is Ms. Salona Joshi, Lecturer in Prakrit, L.D. Institute of Indology who showed us this rare palm-leaf manuscript.

12. Rasiklal Parikh and Hariprasad Shastri (eds.), Gujaratno Rajkiya ane Sanskrutik Itihas, 8 vols., vol. 4 (Ahmedabad, 1976), pp. 242-43.

13. Bhogilal Sandesara and R.N. Mehta, Varnak-Samucchaya, vol. 2 (Baroda, 1959), pp. 140-48.

14. Parikh and Shastri, op. cit., vol. 3, pp. 164-65.

15. John Winter Jones, The Travels of Ludovico DI Varthema in Egypt, Syria, Arabia Deserta and Arabia Felix in Persia, India, and Ethiopia A.D. 1503-1508 (London, 1863), pp. 106-07.

16. Dhirajlal Dhanjibhai Shah, Lavanyasamaya Virachit Vimalprabandh (Ahmedabad, 1956), pp. 31-32, 155-59.

17. Mansel Dames, The Book of Duarate Barbosa, vol. 1 (London, 1918), pp. lxv (introduction), 55, 108.

18. The local technical terms for the products and for the artisans who produced them are described in detail in B.J. Sandesara and J.P. Thakar, "Some Important Vocables from Sanskrit Commentaries on Jain Canonical Texts", Journal of the Oriental Institute, vol. 15, Nos. 3-4 (Baroda, 1966).

19. John Masefield, The Travels of Marco Polo (London, 1926), pp. 384-85.

20. Majumdar, op. cit., p. 259.

21. V. Ball, Travels in India by Jean Baptiste Tavernier Baron of Aubonne, 2 vols., vol. 1 (London, 1889), pp. 8-12.

22. Jones, Varthema, op. cit., pp. 106-07; Dames, Barbosa, op. cit., pp. 47-55.

23. Barbosa, Ibid., pp. 142-44.

24. Makrand Mehta, "The Agate Industry of Cambay", in A.V. Narasimha Murthy and K.V. Ramesh (eds.), Essays in Indology (Delhi, 1987), pp. 109-22.

25. Ibid.

26. Ibid., Also see Dames, Barbosa, vol. 1, op. cit., pp. 43-47.

27. For details see Maganlal Dalpatram Khakhhar (ed.), Shri Jagducharit (Bombay, 1896).

28. Ibid.

29. For the Hindu World-view of History see Albam G. Widgery, Interpretations of History (London, 1916), pp. 43-63; For a strong defence of this view see Ashis Nandy, Alternative Sciences: Creativity and Authenticity in Two Indian Scientists (New Delhi, 1980), pp. 1-12.

30. T.H. Esquire, A Relation of Some Years of Travaile Begunne Anno 1626 Into Afrique and Greater Asia by T.H. Esquire (London, 1634), pp. 48-50; "A Voyage Round the World by Dr. John Francis Gamelli Careri in the 17th Century" in A Collection of Voyages and Travels, 6 vols., vol. 4 (London, 1732), pp. 174-76.

31. Masefield, Marco Polo, op. cit., p. 402.

32. Quoted by George Watt, The Commercial Products of India (London, 1908), p. 863.

33. Makrand Mehta, "Indigenous Paper Industry and Muslim Entrepreneurship", Indian Journal of History of Science (Indian National Science Academy, New Delhi, vol. 17, No. 1, May 1982, pp. 46-58.

34. Sarabhai Manilal Nawab, Jain Kalpadrum (Ahmedabad, 1936), pp. 25-26, 55.